

السنن الكونية في فهم شمولية القرآن الكريم والسنة النبوية لتصور عوامل الاستدامة الدائمة المناخية

COSMIC LAWS IN UNDERSTANDING THE COMPREHENSIVENESS OF THE HOLY QUR'AN AND THE SUNNAH OF THE PROPHET TO ENVISION THE FACTORS OF PERMANENT CLIMATE SUSTAINABILITY

Kamal Omar Ragab Bazina¹, Ahmad Irdha Mokhtar²

¹*Institut Islam Hadhari, Universiti Kebangsaan*

Malaysia

p110169@siswa.ukm.edu.my

²*Institut Islam Hadhari, Universiti Kebangsaan*

Malaysia

irdha@ukm.edu.my

ABSTRACT

This article explores the foundational principles of Islamic sustainable development, rooted in divine guidance and the comprehensive nature of Islamic teachings. It emphasizes that Islamic law provides universal principles that align with natural laws (السنن الكونية), ensuring balance and justice in all aspects of life. The article highlights the responsibility of humans as stewards of the earth, guided by the Quran and Sunnah, to maintain ecological harmony and address challenges such as climate change. By following the divine path, humanity can achieve sustainable development that harmonizes spiritual, social, and environmental aspects, reflecting the interconnectedness of life and nature.

Keywords: universal laws, cosmological philosophy, concept of Islamic sustainable development, call of nature, climate change

مقدمة

إن المبادئ والقيم والمفاهيم العظمى والكبرى التي تتجلى في التشريع الإسلامي قد نزلت على الدنيا والأرض وحيًا ولأن الدين الإسلامي دين سماوي بخصائصه وشموليته. كما لم يكون معروفًا في التشريعات السابقة التي كانت قائمة في صوالح البشر وتميزه من نواحي الحياة بمقررات ربانية عامة وقواعد كلية تقوم عليها جميع النظم الحيوية والمصلحة لذلك لا يمكن ان تجدد في المبادئ العامة للإسلام نظرية بشرية. الإنسانية الفطرية العليا في العدالة الاجتماعية ولأن القواعد الكلية في الإسلام من حيث الأمور الدستورية والسياسية وفي العبادات والمعاملات وأيضًا في أحوال الحرب والسلم هي قوانين ربانية لتحقيق التوازنات بين الدمج الروحي بالجسدي وفي كل ظروف الحياة بجميع أشكالها حتى بنظام تعامل الانسان مع أنفسهم في اكله وشربه وملبسه ومع البيئية المحيطة به التي سخرها الله له

وجعله له مذلة متناغمة ومترابطة ترابطاً فطرياً وبيان لكل ما يدور من حوله على هذه الأرض بوصفه أمم أمثالكم كما قال الله

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾
(38: 6 القرآن، الأنعام)

ومن أبرز الأدلة على أن القرآن الكريم قد اهتم بالبيئة إن هناك عدد كثير من السور التي سميت بأسماء الظواهر الطبيعية والحيوانات والمعادن فنجد سورة البقرة وسورة الحديد وهو من المعادن وسورة الرعد وهو من الظواهر الطبيعية والذاريات وهي الرياح وسورة النجم واقسم الله بها وسورة الشمس وسورة القمر وسورة الليل وسورة الضحى وسورة العصر وسورة الطور فكل هذه الأسماء ظواهر طبيعية ولأهميتها عند الله وما لها من دلالات في نفس الانسان وربطها بالبيئة والمناخ الذي يدور من حولنا حتى لا نكون في عزلة عنه ولا غفلة
(جمعة 2022، ص15)

فالدين الإسلامي على مر العصور وتقادم الأزمان دائما ما يعطي أهمية لفهم وطرح واستنباط وسرد لجميع ما يدور من حولنا في السنن الكونية التي لا تحابي أحدا ويعطي الوصفة الكونية والريانية لعلاج كافة التطورات على مر الأزمان ولجميع الحضارات وأن تكون الحضارات موصولة بالله عز وجل وتستمتع إلى نداء الفطرة والحلول الإلهية بفهم السنن الكونية الريانية

1. مفهوم الخلاف والاستخلاف في الأرض

إن المقاصد الشرعية في الدين الإسلامي توضح العلاقة التكاملية بين ما جاءت به النصوص الشرعية في تحقيق المصالح والتي بلغت أهميتها في القرآن الكريم على الاستدامة بفهم آيات الله هي إعمار الأرض واستثمار خيراتها بشكل مباشر أو غير مباشر، ولذلك قد اعطى الله عز وجل للإنسان صفة النافعة في تحقيق مراد الله تعالى الخلافة أو الإمارة في الأرض وخلقته لخدمتين عظيمتين اولاهما مشتركة بين الانس والجن وهي العبادة
قال تعالى

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
(56: 51الذاريات)

والثانية مختصة بالبشر فقط وهي الاستخلاف في الأرض كم قال الله تعالى
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾
(30: 2البقرة القرآن،)

عنصر العلاقة التي تربط الإنسان بالأرض أو الطبيعة من ناحية، وتربط بين الإنسان والإنسان من ناحية ولهذا إن لجميع البشر وبسبب هذا الحنون آخري وفي العلاقة الحميمة والوثقى بين الناس والأرض بأنها هي الأم والقلب أغلب العناصر والمعادن الموجودة في الإنسان هو جزء لا يتجزأ من مادة الأرض، فقد احتوى جسمه على سبب قوته ونشاطه وبعد نشأة الإنسان الأولى، فإن الأرض تحمله في الانسان هو وإن وجود المعادن الأرض، الأرض هي التي تضم رفاته وتحتضن جسده وفي النهاية عبئا عليها وتوفر له غذاءه وماءه ولباسه (بن حمزة 2016، ص 19)

مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى
(55: 20 طه)

2. التوازن والميزان

إن التوازن في الإسلام نمط عالي الدقة في الحياة لكل شي حتى في المأكل والمشرب اعطانا القوام والنهج السليم حتى يكون متوازنا في المحافظة الثروات وصحة الانسان ولذلك حرم الله ان يكون هناك اسراف وتبذير كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (67: 25 الفرقان)

ولأن القرآن يضع دستوراً متوازناً ينظم لنا الحياة في الموازنات الاقتصادية بين الناس في المجتمع كما قال تعالى (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا) إذا لا بد للإنسان ان يساهم في الانفاق حتى يساعد في حركة سير الحياة ويكون الانفاق معتدل حتى تتمكن من العيش به قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (القرآن، الاسراء: 17: 29) إن الحكمة بينت أن المحمود هو في العطاء التوسط الواقع بين طرفي الافراط والتفريط ففي حكمة الأخلاق ان لكل خلق طرفين ووسطا متوازنا فالطرفان افراط والتفريط (ابن عاشور 1984، ص 84)

3. والمقدرة القدرة

قال الله عز وجل ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القرآن، القمر، 49) يعني أن كل شيء كبير وكل وصغير كل ساكن وكل ومتحرك كل ناطق وكل صامت كل سابق وكل حاضر كل مجهول ومعلوم خلقناه بقدر بتحديد صفته وحقيقة مكانه وزمانه ومقداره ومدى ترابطه بما حوله في هذا الوجود والكون، فلقد أوضحت هذه الآية على ان الحقيقة الشاملة والجامعة لمفهوم تدبير ترتيب الكوني المتناسق فيها كله ومتناغما وان كل شيء فيه بقدر يحقق هذا التناسق المطلق (قطب 1972، ص 3436)

وقال الله تعالى في سورة الفرقان ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (القرآن، الفرقان، 2) أي جعل التقدير من إثار الخلق ويليق به بإحكام وإتقان بديع الله سبحانه-هو العليم بما سيكون في مخلوقاته، لذلك أمر القلم أن يكتب في اللوح المحفوظ، ما هو كائن إلى يوم القيامة. وقال الله تعالى ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ (القرآن، عبس، 19) فَقَدَرَهُ أي هياها لما يصلح ومضبوط ومنظم (ابن عاشور 1984، ص123)

4. الفطرة

إن الفطرة البشرية في هذا الكون تتوافق تماماً مع الطبيعة الإنسانية ولا تخالفها في شيء ومعنى فطر الناس على الدين الحنيف أن الله خلق الناس قابلين لأحكام هذا الدين وجعل تعاليمه مناسبة لخلقهم غير مجافية لها غير نائين عنه ولا منكرين له يعني ذلك أن التعاليم الدينية والسنن الكونية في الفطرة الإلهية جزء من السلوك الإنساني وتعكس قيمه وأخلاقه الصالحة ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ فِطْرَتَ النَّاسِ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القرآن، الروم 30: 29)

وهذا التوجيهات والمراد ما دام الله قد فطرنا على هذه الفطرة فلا تبديل لما أُرده الله وان نستمر على ايماننا بالله وعبادته والالتزام بالتوجيهات والقيم التي وضعها الله عز وجل ان النفوس إذا انحرفت عن فطرة الله لم يردّها اليها الا هذا الدين المتناسق والمتناغم مع الفطرة الربانية فطرة البشر وفطرة الوجود والتي تعبر عن الاستسلام الكامل والخضوع بالدين ولان هذا هو الأصل الذي انزله الله لنا وعدم الانحراف او التغيير في القيم والمبادئ والاخلاقيات لخلق الله ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (القرآن، الروم 30: 29) (قطب 1972، ص2767)

5. الوسطية والاعتدال

إن الوسطية منهاج حياة شرعه الله لنا وجعلها أسلوب حياة لهذه الأمة وهي المنهج الإلهي الذي ينسجم مع الفطرة الإنسانية فالوسط هو بين الطرفين كالجود وسط بين البخل والاسراف حيث لا يكون هناك إفراط ولا تفريط ولا وكس ولا شطط فقد كرم الله الأمة الإسلامية لتكون أمة شهيدة بالحضور البصر والبصيرة في الأرض بالوسطية والاعتدال كما جاء في القران ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (القرآن، البقرة 2: 143)

فالوسطية هي ان يعيش الناس في الأمن والسلام بين المجتمعات ورسوخ الثقة والطمأنينة وزرع مفهوم الحياة من خلال الإحساس بالآخرين وتحقيق التعاون والقسط والرفق والتكافل بين الأغنياء والفقراء ونبذ الطبقة وهي الاستواء والاستقامة والتوسط بين حالتين قال الله عز وجل: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ وهنا تقدم إليهم أوسطهم رأياً قال أعدلهم واخبرهم، وأمثلهم تفكيراً فقال لهم حينما عزموا على حرمان الفقراء ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ (القرآن، القلم، 68: 28) (مجموعة علماء 1992، ص1530)

6. العدل والإحسان

إن منطلق العدل هو الله سبحانه الموصوف بالعدل في جميع أفعاله؛ وكلها جارية على سنة العدل، فهي حلقة كلها بين الرحمة والفضل، وبين العدل والإحسان والحكمة وهو الاسم المشتق من المعادلة بين شيئين فهو مقتضى شيئاً ثالثاً وسطاً وعدلاً بين طرفين ولهذا كان اسم الوسط يستعمل في كلام العرب قديماً تارة مرادفاً لكلمة العدل

فماهية العدل هي تمكين صاحب الحق بحقه بيده وتعيينه له لا قولاً ولا فعلاً كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبة خطبها بعد ان ولي الخلافة فقال: ((وإن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له واضعفكم عندي القوي حتى اخذ الحق منه)) هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال الله عز وجل في الآية نفسها: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمِلْ لِيُؤْتِ بِالْعَدْلِ﴾ (القرآن، البقرة 2: 282) (ابن عاشور 1984، ص186-187)

7. الفساد

إن الواقع اليوم يخبرنا بأن الناس في العصور الماضية لم يكن لديهم تصور لما يحصل من حجم الفساد على ما هو عليه الآن من تلوث الجو والهواء بالغازات ولا بتلوث المياه الجوفية بمخلفات المصانع من الكيماويات والصرف الصحي وأيضاً من دفن النفايات الذرية في البر والبحر وبفعل استخراج الوقود الحجري من باطن الأرض ونرى اضرارها في هذا الزمان والتي لم يكن لها وجود في ذلك الوقت ولقد نزلت آيات القرآن الكريم تحث وتذكر الناس على اجتناب الفساد بجميع اشكاله وأنواعه في الاتباع والقول والنهي والانكار على المفسدين في الدنيا ووعدهم الله في الآخرة بقوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (القرآن، الرعد13: 25)

قال سبحانه وتعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (القرآن، الروم: 30: 41) وهذه الآية معناها صالح لعدة وجوه من الموعظة، وهي من جوامع كلم القرآن والمقصد منها هو الموعظة بالحوادث ماضيها وحاضرها والفساد الذي جاء في الآية هو سوء الحال وهو ضد الصلاح، وقوله في البر والبحر على أنه سوء الأحوال فيما ينتفع به الناس من خيرات الأرض برها وبحرها وإما أن يكون تعريف الجنس الشامل لكل فساد ظهر في الأرض برها وبحرها أنه فساد في أحوال البر والبحر لا في أعمال الناس بدليل قوله: ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (القرآن، الروم: 30: 41) (ابن عاشور 1984، ص 109-112)

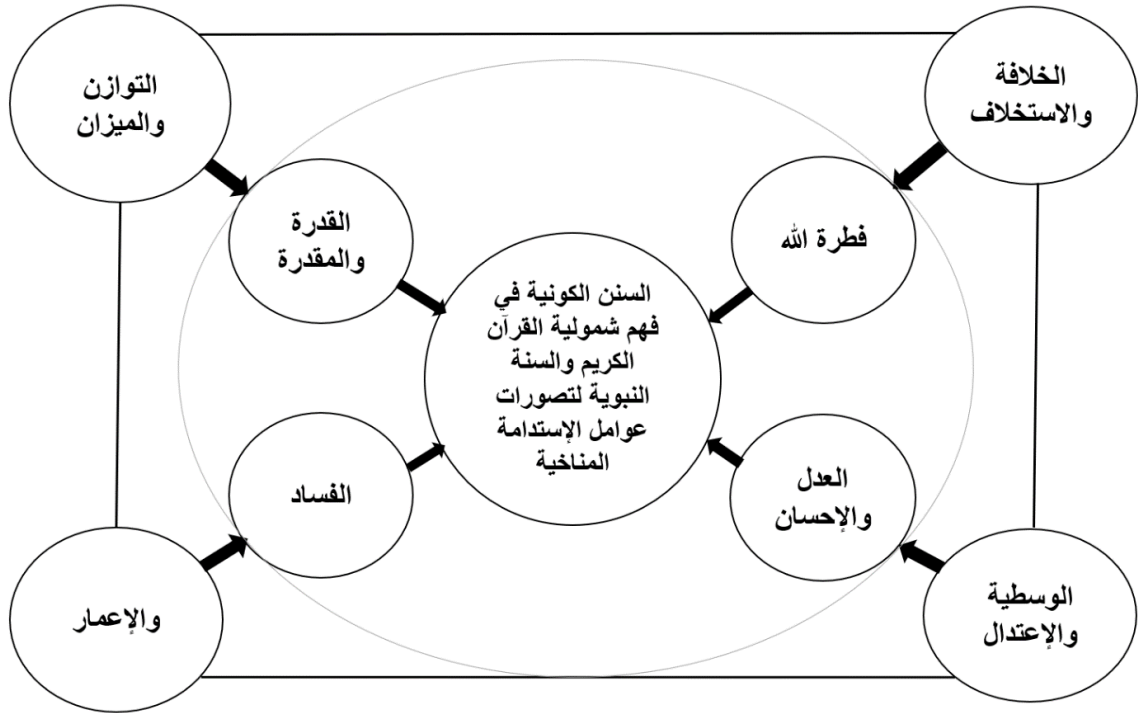
8. إعمار الأرض

إن عمارة الأرض واجبٌ انساني كما قال تعالى ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (القرآن، هود: 61) إن مفهوم الاعمار والتطوير في الدين الاسلامي جاء بطرق كثيرة حيث يجب على الانسان ان يكون مسؤول ومتوازن في استخدام العقل والعلم في وقت واحد لتحويل الأماكن الجافة والموارد غير المستغلة لاستغلالها في منافع الناس والحرص على عدم الحاق الإضرار بالبيئة. دائما ما يعطي الدين الإسلامي الحلول لكل ما يحدث في العالم بالرجوع الى المقومات الأساسية للمحافظة على البيئة والمناخ فالتوجهيات الإسلامية قائمة على تشريعات الإسلام في فهم الاعمار في الارض ولقد ربط الامام يوسف القرضاوي مقاصد الشريعة الاسلامية بثلاث أسس خلق لها الانسان مستبطن ذلك من القرآن الكريم.

- أ - عبادة الله في الارض ﴿وَمَا خَلَقَهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون﴾ (القرآن، الذاريات 56: 51)
 - ب - وخلافة الإنسان على الأرض ﴿أَنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (القرآن، البقرة 1: 30)
 - ج - واعمار الارض كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (القرآن، هود: 61)
- أي طلب اليكم ان تعمروها. (القرضاوي 2001، ص 63-64)

الخلاصة

إن لمفهوم التنمية المستدامة الإسلامية المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية هي الفلسفة الكونية في الحياة اليومية بفهم أكبر وأعمق لكل مشاكل التغير المناخي وخلق التوازن الجوهرية الروحية في المظاهر المادية، والذي يكون في النهاية تصورا كاملا إلى المبادئ الشمولية المترابطة الكونية في مواضيع التنمية المستدامة المتناسقة مع الدين والطبيعة والعلوم الاجتماعية والفطرة الكونية فهي مشتركة في العالم ومع جميع الناس لما يحيط بنا كما قال الله عز وجل ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (القرآن، البقرة 1: 29) ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ (القرآن، الحجر 15: 19) وبهذه الفهم يتعامل التصور الإسلامي مع إله موجود يدل خلقه على وجوده وأنه فعال لما يريد وتدل حركة هذا الكون الفسيح ودقة ما يجري فيه على إرادته العلية وقدرته التي يتصورها عقل وهذا ما يتصوره الإسلام الذي يفتقر افتراقا رئيسيا مع تصور الحضارة الإنسانية (سيد قطب خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ص171 دار الشرق)



شكل: 1

السنن الكونية في فهم شمولية القرآن الكريم والسنة النبوية لتصورات عوامل الاستدامة الدائمة المناخية

REFERENCES

- Muḥammad Mukhtār Jum‘ah. 2022. *Ḥimāyat al-Bī‘ah bayna al-Mas‘ūliyyah al-Shar‘iyyah wa-al-Insāniyyah*, Ṭubi‘a bi-Maṭba‘at Wizārat al-Awqāf, al-Majlis al-A‘lā li-Shu‘ūn al-Islāmiyyah Miṣr.
- Fathī al-Darīnī. 2013. *Khaṣā‘iṣ al-Tashrī‘ al-Islāmī fī al-Siyāsah wa-al-Ḥukm, Mu‘assasat al-Risāla*. al-Ṭab‘ah al-Thāniyyah.
- Muṣṭafā ibn Ḥamzah. 2016. *al-Islām wa-al-Bī‘ah*. al-Maṭba‘ah al-Amniyyah al-Ribāṭ, al-Maghrib.
- Ibn ‘Āshūr. 1984. *al-Taḥrīr wa-al-Tanwīr*. al-Dār al-Tūnisiyyah li-al-Nashr.
- Sayyid Quṭb. 1972. *Fī Zilāl al-Qur‘ān*. Dār al-Sharq, Miṣr: al-Ṭab‘ah al-Shar‘iyyah al-Thāniyyah wa-al-Thalāthūn.
- Majmū‘ah min al-‘Ulamā’. 1992. *Tafsīr al-Wasīṭ*. Ṭab‘ah bi-al-Hay‘ah al-‘Āmmah li-Shu‘ūn al-Maṭābi‘ al-Amīriyyah.
- Yūsuf al-Qaraḍāwī. 2001. *Ri‘āyat al-Bī‘ah fī al-Sharī‘ah al-Islāmiyyah*. al-Ṭab‘ah al-Ūlā, Dār al-Shurūq, al-Qāhirah.
- Sayyid Quṭb. 2001. *Khaṣā‘iṣ al-Taṣawwur al-Islāmī wa-Muqawwimātuh*, al-Qāhirah: Dār al-Sharq.